المخمسة

في المواعظ وما يتعلق بها من الحِكَم

للشيخ الإمام العلامة أبي نصر فتح بن نوح الملوشائي النفوسي رحمه الله تعالى

أَقُولُ وَلاَ أَعْنِي سِوَى ذِي التَـــذَكُّرِ مِنَ اَبْنَاءِ جِنْسِي، وَالْعَفَاءُ عَنِ الْغَيْـــرِ
أَلاَ فَاسْمَعُونِي ثُمَّ عُوا قَوْلَ ذِي حِجْرٍ تَمَلَّـــأَ حُقْبًـــا بِـــاحْتِلاَبٍ لأَ شـــطُرِ
وَأَرْبَى عَلَى السَّبْعِينَ خَمْسًا مِّنْ الْعُمْرِ

خُذُوهُ كَلاَمًا جَوْهَرِيًّا مُـــصَحَّحًا مَصُوغًا مِّنَ أَسْنَى هِمَّةٍ بَلَغَتْ نُصْحًا
تَمِيدُ بِهِ الأَعْنَاقُ أَفْصَحَ أَوْ ضَـــحَا مَتَى يَلِجِ الأَسْمَاعَ قَالَ: لَـــنَ اَبْرَحَـــا
عَسَى يَرِدُ الآدَانَ وِرْدًا بِلاَ صَـــدْرِ

فَأَوَّلُ مَا أُوْصِي بِهِ فِي مُخَمَّـــسِي لِبَاسُ سَرَابِيلِ التُّقَـــى خَيْـــرَ مَلْـــبَسِ
بِهِ سَادَ أَقْوَامٌ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْـــسِ وَلَيْسُوا ذَوِي مَالٍ وَلاَ بِذَوِي قَـــنْسِ
وَلاَ نِيلَ مَا نَالُوا بِبِيضٍ وَلاَ سُمْرِ

بِذَلِكَ أَوْصَى اللهُ مَنْ كَانَ وَاعِيًـــا مِنَ اَهْلِ القُرُونِ السَّالِفَاتِ الخَوَالِيَـــا
وَنَادَى بِهِ أَهْلَ الْعُـــصُورِ البَوَاقِيَـــا وَقَالَ: اتَّقُونِ اليَـــوْمَ حَـــقَّ تُقَاتِيَـــا
يُطَاعُ فَلاَ يُعْصَى، وَشُكْرٌ بِلاَ كُفْرِ

تُقَى اللهِ أَسْنَى مُقْتَـــنًى وَذَخِـــيرَةً وَأَشْرَفُ شَـــيْءٍ مُعْلَنًـــا وَسَـــرِيرَةً
وَأَحْمَدُ فِي الْعُقْبَى أُولَى وَأَخِيـــرَةً وَأَمْـــتَنُ حَـــبْلاً لِلرَّكِيـــكِ عَـــشِيرَةً
وَأَكْرَمُ فِي الأَحْسَابِ مِنْ نَجْرِ عُنْصُرِ

فَأُوصِيكُمْ بِالصَّالِحَاتِ مِنَ الْعَمَـــلْ وَبِالْجِدِّ، مَا دَامَتْ لَكُمْ فُسْحَةُ الأَجَـــلْ
وَكُونُوا كَمَا كَانَتْ شُيُوخَكُمُ الأُوَّلْ طَرِيقَتُهُمْ غَرَّاءُ لَـــيْسَ لَهَـــا حِـــوَلْ
لَقَدْ أَلْحَبُوهَا فَاسْتَقِيمُوا عَلَى الإِثْـــرِ
عَلَيْكُمْ بِآثَارِ الْمَـــشَايِخِ فَاقْتَـــدُوا بِمَنْهَجِهِمْ تَحْظُوا وَتَنْجُوا وَتَرْشُـــدُوا
وَإِيَّاكُمُ وَالْحِيدَ عَنْهَـــا فَتَرْتَـــدُوا فَمَنْ زَاغَ عَنْهُمْ ضَلَّ عَمَّا بِهِ هُـــدُوا
فَاجْهِلْ بِذِي التَضْلاَلِ فِي لَيْلَةِ الْبَدْرِ !
فَجِدُّوا وَأَحْيُوا بِالْهُدَى السِّيَرَ الأُولَى فَهَا هِيَ تَدْنُو كُلَّ يَـــوْمٍ إِلَـــى الْـــبِلاَ
أَلاَ هَلْ فَتًى يَجْلُو صَـــدَاهَا؟ أَلاَ أَلاَ بِجِدٍّ وَعَزْمٍ وَانْتِهَـــاضٍ إِلَـــى الْعُـــلاَ
لِيُنْشِطَ مَعْقُولاً وَيُطْلِقَ ذَا حَصْـــرِ
لَقَدْ أَلْجَمُوا الْمُسْتَصْعَبَاتِ وَأَسْرَجُوا فَهَلْ رَاكِبٌ أَوْ سَالِكٌ حَيْثُ أَنْهَجُوا؟
طَبْـــتُهُمْ زَخَارِيفٌ فَلَمْ يَتَعَرَّجُـــوا عَلَيْهَا، وَإِنْ رَامُوا الْمُبَاحَ تَحَرَّجُـــوا
فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ ذِكْرُهُمْ طَيِّبُ النَّشْـــرِ
فَيَا عَجَـــبَا أَمَّـــا الـــدِّيَارُ دِيَـــارُهُمْ وَسُـــكَّانُهَا قَـــوْمٌ أَطَـــلَّ تِبَـــارُهُمْ
لَقَدْ بَلِيَـــتْ آدَابُهُـــمْ وَأَثَـــارُهُمْ وَمَا انْدَرَسَتْ أَطْلاَلُهُمْ وَحِجَـــارُهُمْ
كَذَلِكَ خَلْفُ السُّوءِ مَزْبَلَةُ النُّكْـــرِ
لَسُرْعَانَ ذَا النِّسْيَانُ وَالْعَهْدُ أَقْـــرَبُ عَلَى أَنَّ ذِكْـــرَاهُمْ أَلَـــذُّ وَأَعْـــذَبُ
وَأَحْلَى عَلَى خِلْبِ الْفُؤَادِ وَأَطْيَبُ فَنَاهِيكَ مَنْ يُحْـــيَى بِرُؤْيَتِهِ الْقَلْـــبُ
وَأَخْسِسْ بِقَوْمٍ سُخْـــنَةِ الْعَيْنِ وَالسِرِّ !

لَقَدْ كَانَ فِي الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلُ إِسْوَةً لِمَنْ لَمْ تُمِلْ عَنْ مَنْهَجِ الْحَقِّ شَـــهْوَةٌ
أَئِمَّةُ صِدْقٍ فِي الْمَـــسَالِكِ قُـــدْوَةً شُمُوسُ الْهُدَى فِي اللهِ إِلْفٌ وَإِخْـــوَةٌ
فَوَاخَجْلَةَ الأَخْلاَفِ يَوْمَ التَّحَسُّرِ

فَيَا بُؤْسَ مَنْ مَاتَتْ عَلَى يَدِهِ السُّنَنْ يَرُوحُ وَيَغْدُو فِي مَـــسَاعِيهِ مُفْتَـــتَنْ
وَلَيْسَ يُبَالِي دِينَهُ غَـــثَّ أَمْ سَـــمِنْ وَيَزْعُمُ جَهْلاً أَنَّهُ إِبْـــنُ مَـــنْ وَمَـــنْ
فَأُرَجِّحُ ظَنِّي أَنَّهُ آخِرُ الْخَيْـــرِ

عَفَا مَعْهَدَ الإِسْلاَمِ مِنْ أَهْلِهِ عَفَـــا تَكَدَّرَ حَالُ الدِّينِ مِنْ بَعْدِ مَا صَـــفَا
وَلَيْسَ لَـــهُ بَـــاكٍ عَلَيْـــهِ تَعَطُّفًـــا "كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحُجُونِ إِلَى الصَّفَا..."
مَقَالَةُ بَعْضِ الْقَوْمِ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ

فَجِدُّوا فَلِلتَّـــسْوِيفِ آلاَفُ آفَـــةٍ تَعُوقُ، وَكَمْ دُونَ الْعُلاَ مِنْ مَـــسَافَةٍ
وَطُرُقُ الْهُدَى مَسْبُوغَةٌ فِي مَخَافَةٍ أَقَلُّ عِـــدَاهَا نَـــزْعُ نَفْـــسٍ بِرَأْفَـــةٍ
إِلَى كُلِّ مَا تَهْوَاهُ مِنْ نَّفْعٍ اَوْ ضَـــرِّ

إِذَا لَمْ تَقَعْ فِي الْفِعْلِ مِنْكُمْ عَـــزَائِمُ مَضَى قَبْلَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْـــهِ الْجَـــوَازِمُ
فَمَا حَازَ مَجْدًا غَيْرُ مَنْ هُوَ حَـــازِمُ وَلاَ كُلَّ وَقْتٍ تُـــسْتَتَابُ الْمَكَـــارِمُ
فَعُمْرُ الْفَتَى كَالضَّيْفِ رَاحَ مَعَ الْفَجْرِ

إِذَا مَا تَنَاهَى الْمَرْءُ عُمْرًا وَمَا انْتَهَى وَلَمْ يَزْدَجِرْ عَنْ حَالَةِ الغَيِّ وَازْدَهَـــى
وَصَارَ كَجِذْعٍ مَائِلٍ فَاحِمٍ وَهَـــى فَكَبِّرْ عَلَيْهِ أَرْبَعًا يَـــا أَخَـــا النُّهَـــى
وَلاَ يُرْتَجَى مِنْهُ الصَّلاَحُ مَدَى الدَّهْرِ

تَدَبَّرْتُ مَا يُجْنَى مِنَ الْعِلْمِ بِالْقَصْدِ فَأَلْفَيْتُـــهُ قَـــوْلَ النَّبِـــيِّ مُحَمَّـــدِ
عَلَيْهِ سَلاَمُ اللهِ فِي كُـــلِّ مَـــشْهَدِ تَعْنَمْ بِخَمْسٍ قَبْلَ خَمْـــسٍ تُـــسَدَّدِ
فَمَهْمَا يُرَاعِهَا الْفَتَى يَحْظَ بِالظَّـــفْرِ

شَبَابُكَ عَهْدٌ، فَابْتَدِرْ قَبْـــلَ نَكْثِـــهِ فَرَاغُكَ جَمْعٌ، فَاسْـــتَبِقْ قَبْـــلَ بَثِّـــهِ
حَيَاتُكَ حَبْلٌ، فَانْتَهِزْ قَبْـــلَ رَثِّـــهِ غِنَاكَ سَمِينٌ، فَـــاغْتَنِمْ قَبْـــلَ غَثِّـــهِ
وَصِحَّةُ جِسْمٍ خَامِسٌ لِذَوِي الشُّكْرِ

بَقِيَّةُ عُمُرِ الْمَرْءِ لَيْسَ لَهَا عِـــوَضْ يُدَارِكْ بِهَا مَا فَاتَ بِالأَمْسِ وَانْقَرَضْ
وَيُحْيِي بِهَا مَا مَاتَ مِنْ سَالِفِ الإِبَضْ أَعَزُّ مِنَ الْبُرْءِ الذِي قَبْلَـــهُ الْمَـــرَضْ
وَأَشْهَى إِلَى الصَّوْمِ مِنْ لَيْلَةِ القَـــدْرِ

مِنَ النَّاسِ مَنْ لَوْ مَاتَ بَعْضُ آرَابِهِ لَمَا ازْدَجَرَ البَاقِي وَلاَ حَسَّ مَـــا بِـــهِ
وَذَلِكَ مِنْ مَرْكُومِ غَيْهَـــبِ عَابِـــهِ وَقِلَّـــةِ ذِكْـــرَاهُ لِعُقْبَـــى مَآبِـــهِ
وَمَا رَانَ مَنْ كَسْبَ الْمَآثِمِ وَالْوِزْرِ

لَنَا خَلَفٌ قَدْ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ خَلْـــفُ فَمَا اشْتَبَهَا إِلاَّ كَذَا الْحَرْفِ وَالْحَرْفُ
فَأَوَّلُنَـــا الْمَنْـــصُوبُ لِـــلاَّمِ أَشْـــرَفُ وَآخِرُنَا الْمَجْـــزُومُ لِـــلاَّمِ أَسْـــخَفُ
فَيَا بَوْنَ مَا بَيْنَ الشَّبِـــيهَيْنِ مِنْ غَيْرِ

خَرَجْنَا إِلَى الدُّنْيَا بِغَيْـــرِ اخْتِيَارِنَـــا وَعِشْنَا بِهَـــا أَعْمَارَنَـــا لاخْتِبَارِنَـــا
شُغِفْنَا بِهَا فِـــي لَيْلِنَـــا وَنَهَارِنَـــا وَنَحْـــنُ أَلِفْنَاهَـــا وَلَيْـــسَتْ بِـــدَارِنَا
سَنَخْرُجُ مِنْهَا رَاغِمِينَ إِلَى الْقَبْرِ

عَلَى أَنَّنَـــا منْهَـــا خُلِقْنَـــا لِغَيْرِهَـــا هِي الأُمُّ، مِنْهَا الْمَصُّ نَغْذُو بِـــدَرِّهَا
وَتَأْكُلُ أَوْلاَدًا لَهَـــا بَعْـــدَ بِرِّهَـــا كَذَلِكَ أُمُّ السُّوءِ: تَجْـــرِي بِخَيْرِهَـــا
شُرُورًا، نَلِيهَا وَهْيَ غَدَّارَةَ الْغَدْرِ
أَرَى أَوْلِيَـــــاءَ اللهِ لاَ يَـــــسئَمُونَهَا عُـــرَاةً حُفَـــاةً يَمْتَطُـــونَ مُتُونَهَـــا
يَذُمُّونَ أَطْنَاهَا، وَهُـــمْ يَحْلُبُونَهَـــا وَتَكْسَعُهُمْ عَنْهَا، وَهُـــمْ يَرْضِـــعُونَهَا
فَكَيْفَ بِحُوتٍ فَارَقَ الْمَاءَ لِلْبَـــرِّ
لِذِي الْعَقْـــلِ فِيهَـــا أَنَّـــةٌ وَتَـــأَوُّهُ يُرَدِّدُهَـــــا حَيْزُومُـــــه وَيُمَهْمِـــــهُ
وَيَعْلُو سَجُورَ النَّفْسِ عَمَّـــا تُحِبُّـــهُ وَأَرْوَحْ مَـــا فِيهَـــا الـــذِي يَتَوَجَّـــهُ
إِلَى رَبِّهِ مُسْتَسْلِمًا لِرِضَا الْقَـــدْرِ
وَمَا لَذَّةُ الدُّنْيَا سِوَى خِدْمَةِ الْعِلْـــمِ وَصُحْبَةِ تَقْوَى اللهِ بِـــالْوَرَعِ الْجَـــمِّ
وَإِخْوَانُ صِدْقٍ لاَ جُفَاةٍ وَلاَ جُـــرْمِ تَحَادِثُهُمْ أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ فِي الفَـــمِ
وَأَشْهَى إِلَى لُبِّي مِنَ الْفَتْحِ وَالنَّصْرِ
فَحَسْبُ الْفَتَى مِنْ مَالِهِ الرَّيُّ وَالشِّبَعْ وَلَكِنَّنَـــا شُـــرْهٌ، نَخِـــيطُ فَتَتَّـــسِعْ
نُشَـــيِّدُ مِنْهَا جَانِبًا ثُـــمَّ تَنْـــصَدِعْ جَوَانِبُ أُخْرَى، آخِرَ الأَمْرِ أَنْ تَقَـــعْ
فَلاَ نَحْنُ بِالدُّنْيَا وَلاَ الدِّينِ، بِالْخُسْرِ
فَـــرِبْحُ الْفَتَـــى تَـــزَوُّدُهُ التُّقَـــى فَمَا فَازَ مِنْهَا غَيْرُ مَنْ كَـــانَ مُـــشْفِقًا
عَلَى دِينِـــهِ كَلَحْمِـــهِ أَنْ يُمَزَّقَـــا وَلَـــيْسَ يُبَـــالِي ثَوْبَـــهُ أَنْ يُخْرَقَـــا
فَمَا الدِّينُ إِلاَّ جَوْهَرٌ صِينَ عَنْ كَسْرِ

أَبَـــى اللهُ إِلاَّ مَـــا أَرَادَ وَشَـــاءَا وَإِنْ ذَهَبَ الإِنْـــسَانُ عَزْمًـــا وَجَـــاءَا
عَلَى عِلْمِهِ يَأْتِي الْقَـــضَاءُ سَـــوَاءَا فَـــيُذْهِبُ أَشْـــيَاءَ وَيُنْـــشِئ أَشْـــيَاءَا
تَفَرَّدَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ بِمَا يَجْـــرِي
عَلَى الْعَبْدِ يَسْعَى بِاجْتِهَادٍ وَيَقْنُـــتُ وَيَرْعَى الْفُرُوضَ الوَاجِبَاتِ وَيَـــصْمُتُ
وَيَقْضِي إِلَهُ الْخَلْقِ مَا قَدْ يُؤَقَّـــتُ لَهُ الْمُلْكُ، يَمْحُو مَا يَـــشَاءُ وَيُثْبِـــتُ
فَدُمْ وَاسْتَقِمْ، وَأَلْزَمْ بِخَاتِمَةِ الْحِجْرِ
فَلله حُكْـــمٌ بَـــالِغٌ فِـــي عِبَـــادِهِ وَإِنْ جَاهَدُوا فِي اللهِ حَـــقَّ جِهَـــادِهِ
يُثَبِّتُ كُـــلاًّ بِاقْتِـــضَاءِ اعْتِقَـــادِهِ بِـــسَابِقِ عِلْـــمٍ، لاَ بِوِفْـــقِ مُـــرَادِهِ
وَمَا نَائِلٌ شَيْئًا إِذَا لَـمْ يُقَـــدَّرِ
فَكَمْ مِنْ شَقِيٍّ بِالـــسَّعِيدِ لِحِينِـــهِ وَمُسْتَدْرَجٍ بِـــالزَّينِ وَهْـــوَ لِـــشِينِهِ
وَيَحْسِبُ جَهْلاً ذَاكَ قُـــرَّةَ عَيْنِـــهِ وَلاَ يَنْظُـــرُ الأَشْـــيَاءَ إِلاَّ بِعَيْنِـــهِ
وَقَدْ عَمِيَتْ مِنْهُ الْبَصِيرَةُ لاَ يَدْرِي
فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِـــفَ وَعْـــدِهِ وَلَكِنَّ عَبْدَ الـــسُّوءِ نَـــاقِضُ عَهْـــدِهِ
وَلَمْ يُوفِ بِالْمِيثَاقِ فِي شَرْطِ عَقْدِهِ وَيَطْمَعُ بِالْغُفْرَانِ مِنْ بَعْـــدِ عَمْـــدِهِ
وَإِصْرَارِهِ عَلَى الْكَبَائِرِ وَالصُّغْرِ
فَلله هَـــذَا الأَمْـــرُ بَعْـــدٌ وَقَبْلَـــهُ لَصَعْبٌ هُدَى غَـــاوٍ بِعِلْـــمٍ أَضَـــلَّهُ
إِذَا حَارَ خِرِّيتٌ بِسَارٍ فَمَـــنْ لَـــهُ بِهَـــادٍ خَـــبِيرٍ بَعْـــدَهُ أَنْ يَدُلَّـــهُ؟
وَهَلْ يُجْبَرُ الْمَكْسُورُ مِنْ غَيْرِ ذِي كَسْرِ

مُتَرْجَمُ هَذَا الْخَطَّ يَــوْمُ التَّغَــابُنِ وَكَشْفُ الْغِطَا بَادٍ بِتِلْــكَ الْمَــوَاطِنِ
هُنَالِكَ تَبْدُو مُــضْمَرَاتُ الْبَــوَاطِنِ وَتَعْلُو غَوَاشِي الْحُزْنِ سَيَّ الــدَّفَائِنِ
وَيَفْرَحُ ذُو الْحُسْنَى بِصَافٍ مِنَ التِّــبْرِ
فَيَا عَجَبًا مِّنْ نَــائِمٍ جَنْبَــهُ أَسَــدٌ فَمَا حَالُهُ يَقْظَانَ؟ كَيْــفَ إِذَا رَقَــدْ؟
كَذَا عَامِرُ الدُّنْيَا فَيَأْمَنُهَــا، وَقَــدْ رَأَى فَتْكَهَا بِالأَمْسِ فِي الأُسْدِ وَالنَّقَدْ
وَمِنْ مَامِنٍ يُؤْتَى أَخُو الْحِذْرِ فَاحْذَرِ
لَئِنْ فَتَكَــتْ بِــالأَوَّلِينَ وَقَتَّلَــتْ وَأَنْهَلَتِ الأَكْوَاسَ فِــيهِمْ وَعَلَّلَــتْ
لَقَدْ نَصَبَتْ للآخَرِينَ، وَمَا أَلَــتْ وَلَكِنْ حَمَالِيقُ الْهَوَى قَبْلُ أَحْوَلَــتْ
يُصِمُّ وَيُعْمِي حُبُّكَ الشَّيْءَ، فَاقْصِــرِ
تَحَرَّ مَرَاضِي اللهِ وَاقْصِدْ وَأَخْلِــصِ وَرَاعِ عُهُودَ اللهِ بِالْجِــدِّ وَالْحِــرْصِ
وَسَارِعْ إِلَى الْخَيْرَاتِ، لاَ تَتَــرَبَّصِ وَإِيَّاكَ سَــيْرَ الْقَهْقَــرَى وَالتَّــنَكُّصِ
فَمَنْ لَمْ يَزِدْ فِي الْخَيْرِ كَانَ عَلَى الشَّرِّ
قُلِ: اللهُ رَبِّي، ثُمَّ ذَرْ مَنْ تَهَوَّكَــا وَلاَ تَعْتَسِفْ فِي الْحَوْضِ أَخْذًا وَلاَ تَرْكَا
وَلاَ تَأْخُذِ الْيُسْرَى سَبِيلاً وَمَسْلَكَا وَلاَ تَتَعَــرَّضْ لِلْــبَلاَءِ فَتَهْلِكَــا
وَحِدْ عَنْ بُنْيَاتِ الطَّرِيقِ الْمُؤَثَّــرِ
رَعَى اللهُ مَنْ يَرْعَى الْحُدُودَ اللَّوَازِمَا وَلاَ يَتَعَدَّى فِي الْحُــدُودِ الرَّوَاسِــمَا
فَذُو البِرِّ وَقَّافٌ، يُرَاعِي الْمَعَالِمَــا كَمَا النَّذْلُ وَثَّابٌ، يَرُومُ الْمَحَارِمَــا
فَفَيْــصَلُ هَذَا وَاضِحٌ لِلْمُفَكِّرِ

فَلله مَنْ يَرْعَـــى شُـــوَيْهَةَ نَفْـــسِه وَحَاذَرَهَا ذِئْبَ الْهَوَى قَبْـــلَ خَلْـــسِه
وَبَادَرَ بِالأَعْمَالِ إِشْـــرَاقَ شَمْـــسِه وَشَيَّدَ فِي الإِسْلاَمِ بُنْيَـــانَ خَمْـــسِه
وَقَدَّمَ مَا يَلْقَاهُ فِي الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ

أَرَى الأَمْرَ فِي ذَا الدَّهْرِ أَنْكَسَ أَعْكَسَا أَرَى ذَنَـــبًا أَضْحَى عَلَى خِسَّةٍ رَأْسَا
أَرَى نَهَرًا غَمْـــرًا غَزِيـــرًا تَيَبَّـــسَا وَآضَ فَصِيحُ الدِّينِ أَعْجَـــمَ أَخْرَسَـــا
فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ الاِسْمُ مِنْ كُلِّ خَيْرِ

فَيَارَبِّ غَيْضٌ بَعْدَ فَيْضٍ مِنَ الـــرَّوَا وَأَشْـــنَعُ مِـــنْهُ مُسْتَقِيمٌ إِذَا الْتَـــوَى
فَهَلْ مُرْتَجًى إِيرَاقُ عُـــودٍ إِذَا دَوَى وَغَايَـــةُ ظَنِّـــي أَنَّ عُقْبَـــاهُ لِلثَّـــوَى
فَمَا أَبْعَدَ الْمَطْوِيَّ عَنْ بَسْطٍ أَوْ نَشْرِ

أَجُولُ بِطَرْفِي لاَ أَرَى فِي مَسَالِكِي سِوَى حَاذِفٍ أَوْ قَاذِفٍ أَوْ مُمَاحِـــكِ
وَأَكْثَرُ مَنْ تَلْقَاهُ ضُحْكَةُ ضَـــاحِكٍ وَأَعْجَبُ مَسْمُوعٍ عَـــضَائِهُ آفِـــكِ
فَطُوبَى لِسُكَّانِ اللَّحَائِدِ وَالْحُـــفْرِ

أَرَى الأَمْرَ لاَ يَـــزْدَادُ إِلاَّ تَـــشَدُّدَا أَرَى الـــشَّمْلَ لاَ يَـــزْدَادُ إِلاَّ تَبَـــدُّدَا
يَدُلُّ عَلَى النَّارِ الـــدُّخَانُ إِذَا بَـــدَا وَمَا ذَاكَ إِلاَّ أَنَّـــهُ قَـــرُبَ الْمَـــدَى
بِوَعْدٍ إِلَهِي وَالْمَـــعَادِ الْمُقَدَّرِ

دَلِيلٌ عَلَى قُرْبِ الزَّمَانِ الْمُؤَقَّـــتِ لِئَامٌ تَعَالَتْ، وَالْمَكَارِمُ فِي التَّحْـــتِ
وَهَذَا سَقِيمُ الدِّينِ أَشْفَى عَلَى الْفَوْتِ بِهِ رَمَقٌ، عُقْبَـــاهُ أَقْـــرَبُ لِلْمَـــوْتِ
فَهَلْ مُشْتَرِي التِّـــرْيَاقِ يُحْيِيهِ أَنْ يُبْرِي

لَقَوْلُ رَسُولِ اللهِ أَصْدَقُ فِي الْوَرَى فَفِي كُلِّ عَـامٍ تَرْذُلُـونَ إِلَـى وَرَا
قَلِيلُ لِشَيْءٍ بَعْـدَمَا كَـانَ أَدْبَـرَا يَكُونُ عَلَى الإِقْبَـالِ إِلاَّ تَقَهْـقَرَا
فَأَقْبَحُ مَا فِي السَّيْرِ سَيْرُ الْمُقَهْـقِرِ

بَدَا لِي أَنَّ النَّقْصَ بِالْبَعْثِ مُتَّـصِلُ وَإِنَّ زَمَانَ الْفَـاطِمِيِّ لَقَـدْ أَطَـلَّ
وَبَدْرُ سَمَاءِ الْخَيْرِ فِي النَّاسِ قَدْ أَفَلْ تَوَاتَرَتِ الأَخْبَارُ فِيـهِ مِـنَ النُّقَـلْ
وَمِنْ بَعْدِهِ الآيَاتُ تَتْرَا إِلَى الْحَشْرِ

نُمَهِّدُ لِلأَجْسَامِ لَيْنًا مِـنَ الْفُـرْشِ وَنَعْتَامُ تَعْلِيلاً لَهَـا أَطْيَـبَ الْعَـيْشِ
وَنَنْسَى أَهَاوِيلَ اللَّحائِدِ وَالـنَّعْشِ وَنَمْلأُ بِالأَخْبَـاثِ أَوْعِيَـةَ الْكَـرْشِ
لَعَلَّ مَـنَايَانَا قَرِيبٌ وَمَا نَدْرِي

يُصَاحُ بِنَا فِي كُلِّ يَـوْمٍ وَنُـزْعَجُ وَتَقْرَعُـنَا الآيَـاتُ وَالْحَـقُّ أَبْلَـجُ
فَرَانَ عَلَيْنَا كَسْبُ سُـوءٍ مُبَهْـرَجُ وَكُلُّ الذِي نَأْتِي مِنَ الأَمْـرِ أَعْـوَجُ
فَصِرْنَا -وَلاَ كُفْرَانَ للهِ- كَالْحُمْرِ

يَكِيلُ الْفَتَى مَأْكُولَهُ خَوْفَ عِيلَـةً وَخَلَّى كَثِيبَ الْعُمْرِ يَنْهَـالُ هَيْلَـةً
تُسَاوِمُهُ الأَحْدَاثُ جَهْـرًا وَغِيلَـةً فَـإِنْ لَـمْ تُغَـادِهِ تُرَاوِحْـهُ لَيْلَـةً
فَمَا حُلْوُ عَيْشٍ صَارَ عُقْبَاهُ لِلْمُـرِّ ؟ !

مَصَايِبُ هَذَا الدَّهْرِ فِي الْمَرْءِ نَاشِـبَهْ تَرُوحُ وَتَغْدُو بِالْمَعَاطِـبِ وَاصِـبَهْ
وَلاَ سِيَّمَا فِي الْمُؤْمِنِ الْبَرِّ صَـائِبَهْ فَمَهْمَا تَخَطَّتْ دِينَـهُ فَهْـيَ ذَاهِبَـهْ
كَقَرْصَةِ نَحْلٍ أَوْ كَعَـضَّةِ ذِي الذَّرِّ

يَقُولُ رِجَالٌ: أَصْبَحَ الدَّهْرُ فاسِـــدًا وَهُمْ فَسَدُو وَالدَّهْرُ لَـــيْسَ مُعَانِـــدًا
فَمَنْ زَرَعَ الْخَيْرَاتِ أُغْبِطَ حَاصِدًا وَمَنْ زَرَعَ الشَّرَاتِ أَصْـــبَحَ سَـــامِدًا
وِفَاقُ الْمَسَاعِي فِي الْجَزَاءِ عَلَى الْبَذْرِ

لَحَا اللهُ ذَاكَ الدَّهْرَ عَزَّتْ مَعَايِـــشُهْ مَآكِلُـــــهُ مَمْزُوجَـــــةٌ وَمَفَارِشُـــــهْ
فَمَا نِيلَ مِنْهَا بِالْمَعَاصِي تُهَاوِشُـــهْ لَقَدْ عَزَّ فِيهِ جُـــلُّ قُـــوتٍ تُنَاوِشُـــهْ
كَذَلِكَ دَهْرُ السُّوءِ، فَاصْبَرْ عَلَى الضُّرِّ

إِذَا طَابَ كَسْبُ الْمَرْءِ صَحَّتْ دَعَائِمُهْ فَتَزْكُـــو لَـــهُ أَعْمَالُـــهُ وَعَزَائِمُـــهْ
وَإِنْ خَبُثَتْ أَمْلاَكُـــهُ وَمَطَاعِمُـــهْ فَـــذَاكَ لِبُنْيَـــانِ الدِّيَانَـــةِ هَادِمُـــهْ
فَكَمْ أَحْبَطَتْ حَبَّاتُ سُـــوءٍ مِنَ الْبُرِّ

أَرُونِي الذِي قَدْ كَانَ خِلْوًا مِنَ الشَّجَا سَلِيمًا مِنَ الآفَـــاتِ أَبْهَـــجَ أَثْلَجَـــا
مُحَالٌ لَعُمْرِ اللهِ نُورٌ بِـــلاَ دُجَـــى وَنُعْمَى بِلاَ بُؤْسٍ، وَيَأْسٌ بِـــلاَ رَجَـــا
تَتَابَعَتِ الْحَالاَتُ مِنْ كُلِّ مَا يَجْرِي

تَجَاوَرَتِ الأَضْدَادُ: خَفْضٌ وَرِفْعَةٌ مُجَاوَرَةَ الأَعْـــدَادِ: سِـــتٌّ وَسَـــبْعَةٌ
فَعُسْرٌ وَيُسْرٌ، وَالْخَمِيسُ وَجُمْعَـــةٌ وَعِـــزٌّ وَذُلٌّ، وَافْتِقَـــارٌ وَوُسْـــعَةٌ
وَعَيْشٌ وَمَوْتٌ، تِلْكَ قَاصِمَةُ الدَّهْـــرِ

فَمَنْ عَاشَرَ الدُّنْيَا وَهَرَّتْ كِلاَبُهَـــا عَلَيْـــهِ وَعَـــضَّتْ عَاقِبَيْـــهِ نِيَابُهَـــا
أَحَاطَ بِهَا خُبْرًا، فَلَـــيْسَ يَهَابُهَـــا سَـــوَاءٌ عَلَيْـــهِ صَـــابُهَا وَعِـــذَابُهَا
وَلَيْسَ كَغِمْرٍ جَاهِلٍ أَحْمَقٍ غِـــرِّ

يُصَابُ لَنَــا دِيــنٌ فَــلاَ نَتَــأَلَّمُ وَيُفْجِعُنَا إِنْ جَاحَ فِي الْمَالِ دِرْهَــمُ
وَنَنْسَى الأَيَادِي، وَالْجَوَائِحَ نَفْهَــمُ عَلاَمَتُنَــا الإِدْبَــارُ، وَاللهُ أَعْلَــمُ
وَأَعْيُنُنَا مَفْتُوحَةٌ حِدَّةُ النَّظْــرِ

فكَمْ مُتَمَنٍّ مَّا مَضَى مِــنْ زَمَانِــهِ وَحَامِــدِ دَهْــرٍ ذَمِّــهِ فِــي أَوَانِــهِ
وَشَاكِرِ حَالٍ بَعْدَ ضَــجْرٍ بِــشَأْنِهِ أَنَــاخَ عَلَيْــهِ دَهْــرَهُ بِجِرَانِــهِ
فَيَذْكُرُ إِذْرِيشُ الْقَوَادِمِ فِي الوَفْــرِ

كَفَى حَزَنًا أَنَّ الْجُفَــاةَ تَرَايَــسُوا عَلَيْنَا، وَسَامُوا خَسْفَنَا، وَتَمَاكَــسُوا
وَذَكَّرَهُمْ بَعْضُ النَّسَانِسِ مَا نَــسُوْا وَصَارُوا لَهُمْ عَوْنًا عَلَيْنَا، وَمَارَسُــوا
سَيُسْبَكُ ذَاكَ الدِّرْهَمُ السُّوءُ فِي الْحَشْرِ

أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَــامِ شِــبْهًا وَأَمْثَــلُ وَأَسْفَهُ أَحْلاَمًا، وَأَجْفَــى وَأَجْهَــلُ
عَبِيدُ الْهَوَى، عُبَّادُ دُنْيَاهُمُ غُفْــلُ نَسُوا اللهَ، لَمْ يَأْلُ الْفَسَادَ لَهُمْ خَبْــلُ
أَخَافُ كَمَا كُنَّا يَكُونُ أُولُو الأَمْرِ

لَقَدْ حَارَبُوا أَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شُغِلْنَا بِهِمْ عَنِ النَّوَافِــلِ وَالْفَــرْضِ
بِتَكْلِيفِهِمْ مَا لاَ يُطَاقُ مِنَ الْقَــبْضِ وَهَتْكِهِمُ الأَسْرَارَ فِي الْمَالِ وَالْعِرْضِ
وَلاَ يَرْقُــبُونَ اللهَ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ

فَلَوْلاَ تَعَالِيلُ النُّفُوسِ لَمَّا رَجَــتْ لَفَاضَتْ مِنَ الأَجْسَادِ ضَنْكًا وَأُخْرِجَتْ
وَلَكِنَّهَا الآمَالُ أَرْوَحُ مَــا لَجَــتْ إِلَيْهِ، وَأَحْرَى كُلُّ شَيْءٍ بِــهِ لَجَــتْ
غِذَاءُ النُّفُوسِ الْمُذْهَلاَتُ مِنَ الشَّــرِّ

فَلَوْلاَ الذِي عَافَى مِنَ الْخَسْفِ وَالْمَسْخِ لَعَاجَلَ تِلْكَ الْهَامَ بِالْفَتْحِ وَالشَّدْخِ
وَلَكِنَّمَا اسْتَرْعَاهُمُ طَيِّبُ السِّنْخِ نَبِيُّ الْهُدَى، عَمَّ الشَّرَائِعَ بِالنَّسْخِ
عَلَيْكَ سَلاَمُ اللهِ يَا طَيِّبَ الذِّكْرِ

بُلِيتُ بِمَنْ لاَ بُدَّ لِي مِنْ تُقَاتِهِ أَخَافُ سُيُوفَ الْبَغْيِ مِنْ نَزَوَاتِهِ
فَمَنْ لاَ يَخَافُ اللهَ خَفْ مِنْ هَنَاتِهِ عِيَاذًا بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ سَطَوَاتِهِ
أَرَى شَرَرًا مِنْ نَارِهِ أَحْرَقَتْ غَيْرِي

فَحَمْدًا لِمَنْ أَوْلَى الآلاَءَ وَأَسْبَغَا وَأَسْبَلَ أَسْتَارَ الأَمَانِي وَأَفْرَغَا
عَلَيْنَا سِجَالَ الصَّبْرِ عَنْ كُلِّ مَنْ طَغَى لِوَاذًا بِهِ مِنْ كُلِّ بَاغٍ إِذَا بَغَى
فَمَا حُمِدَتْ عُقْبَى أَجَلَّ مِنَ الصَّبْرِ

سَأُغْضِي عَنِ الأَيَّامِ جَفْنًا عَلَى الْقَذَى وَأَقْطَعُهَا بِالصَّبْرِ عَنْ كُلِّ ذِي أَذَى
وَأَحْفَظُ دِينِي عَنْ جُفَاةٍ، وَحَبَّذَا وَأَقْرَعُ حَالاَتِ الْحَوَادِثِ، ذَا بِذَا
وَأَرْجُو مِنَ اللهِ الإِدَالَةَ بِالْخَيْرِ

سَلاَمَةُ دِينِ الْمَرْءِ أَغْنَمُ عَاجِلٍ وَأَنْفَسُ ذُخْرٍ مُسْتَعَدٍّ لآجِلِ
فَلاَ تَعْبَأَنْ مِنْ بَعْدِهِ بِالزَّلاَزِلِ سَحَائِبُ صَيْفٍ، مُقْشَعَاتُ الْمَخَايِلِ
فَصَبْرُ الْفَتَى أَنْجَى عَلَى الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ

فَلاَ تَحْسِبَنَّ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لاَزِمٍ كَمَا أَنَّ حَالَ الْخَيْرِ لَيْسَ بِدَائِمِ
هُمَا جَارَتَانِ، مِثْلُ بَانٍ وَهَادِمِ وَغَائِبُ مَوْتِ الْبَرِّ أَفْضَلُ قَادِمِ
كَحَلٍّ عِقَالٍ أَوْ فِكَاكٍ مِّنَ الأَسْرِ

فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا فِي الَّرَوَاتِقِ وَالْفَتْقِ لِكُـــلٍّ مَقَـــالٌ، فَاسْـــمَعَنَّ وَحَقِّـــقِ
فَمَا سَدَّ أَبْوَابَ الدَّعَاوِي سِوَى الصِّدْقِ وَلاَ جَرَّ أَسْبَابَ النَّجَاةِ سِوَى الْحَـــقِّ
وَإِنَّ مَقَاطِيعَ الْبَرَاهِينِ تَسْتَـــبْرِي

مِنَ النَّاسِ ذُو الوَجْهَيْنِ: يَعْـــبُدُ رَبَّـــهُ عَلَى الْحَرْفِ، أَيَّا شَاءَ صَرَّفَ قَلْبَـــهُ
فَفِي حَالَةِ السَّرَّاءِ يَعْـــبُدُ خِـــصْبَهُ وَفِي حَالَةِ الـــضَّرَّاءِ يُـــسْخِطُ رَبَّـــهُ
وَلاَ يَعْرِفُ الرَّحْمَنَ إِلاَّ عَلَى الْيُسْرِ

حَقِيقٌ عَلَى ذِي اللبِّ يَعْرِفُ دَهْرَهُ يَدُورُ مَعَ الأَحْوَالِ مَـــا عَـــاشَ دَوْرَهُ
وَلاَ يَتَعَدَّى فِي الزَّعَامَـــةِ طَـــوْرَهُ وَيَعْرِفُ فِي الدُّنْيَا الدَّنِـــيَّةِ قَـــدْرَهُ
وَيَقْنَعُ بِالْمَقْسُومِ مِنْ نَزْرٍ أَوْ غَـــزْرِ

أَرَى كُلَّ هَذَا الْخَلْقِ يَعْبُدُ قُرْصَـــهُ يَحُوشُ صَمِيمَ النَّارِ تُنْضِجُ حِرْصَـــهُ
فَأَوْرَعُهُمْ رَاعَى مِنَ الشَّرْعِ نَـــصَّهُ وَأَرْهَقُهُمْ غَـــشْمًا يُطَـــارِدُ قَنْـــصَهُ
وَلَيْسَ يُبَالِي كَيْفَ بَاشَرَ بِالْجَمْرِ

فَخُذْ بِيَدِ الْهَاوِي دِرَاكًا لِيَـــسْقُطَا وَقَيِّدْ عَنِ الإِطْلاَقِ أَلْـــسِنَةَ الْخَطَـــا
وَكُنْ فِي حَدِيثِ النَّاسِ أَصْدَقَ مِنْ قَطَا وَحَاذِرْ مِنَ الْمَسْتُورِ أَنْ تَكْشِفَ الْغِطَا
وَرِشْ مَنْ بَرَاهُ الدَّهْرُ عَوْنًا وَلاَ تَـــبْرِه

وَحَاذِرْ عَنِ الْكَلْبِ العَقُورِ مِنَ الْفَمِ حَصَائِدُهُ تَرْمِي الْفَتَى فِـــي جَهَـــنَّمِ
وَعَيْنَاكَ لاَ تُطْلِقْهُمَا فِـــي مُحَـــرَّمِ وَلاَ تَبْسُطِ الأَيْدِي إِلَى ضَـــرِّ مُـــسْلِمِ
وَلاَ تَمْشِ بِالرِّجْلَيْنِ فِي غَيْرِ مَا أَجْرِ

فَمَا يَنْفَعُ الْعِلْــمُ الْمَقُــولُ رِوَايَــةً إِذَا لَمْ يَكُنْ مَعْقُــولَ قَلْــبٍ رِعَايَــةً
فَعِلْمٌ بِلاَ فِعْــلٍ كَمُخْــطٍ رِمَايَــةً وَفِعْلٌ بِــلاَ عِلْــمٍ كَــسَارٍ عِمَايَــةً
فَإِنْ ثُــلِّثَا بِالْقَصْدِ للهِ فَابْشِــرِ

عَذِيرِي عَذِيرِي مِنْ عَدُوٍّ مُكَاشِــرٍ تَسَرْبَلَ لِي ثَوْبَ الصَّدِيقِ الْمُعَاشِــرِ
وَلَيْسَ بِإِنْــسِيٍّ تَجَلَّــى لِنَــاظِرٍ وَلَكِنَّــهُ الــدُّنْيَا كَخُلَّــةِ عَــاهِرِ
هِيَ السِّحْرُ، لاَ بَلْ إِنَّهَا أَسْحَرُ السِّحْرِ

مُنَايَ مِنَ الــدُّنْيَا تَــزَوُّدُ طَاعَــةٍ وَقُوتٌ حَــلاَلٌ مُــصْحَبًا بِقَنَاعَــةٍ
وَرِحْلَتُنَــا مِنْهَــا بِغَيْــرِ تِبَاعَــةٍ وَتَجْدِيدُ حَمْدِ اللهِ فِي كُــلِّ سَــاعَةٍ
وَمَغْفِرَةُ الْمَوْلَى وَخَاتِمَةُ الْخَيْــرِ

سَأَفْنَى وَأَنْسَى، وَالْمَقَالَــةُ بَاقِيَــهْ تَسِيرُ بِهَا الرُّكْبَانُ كَالشَّمْسِ جَارِيَــهْ
لَعَلَّ لَهَا أُذْنًا مِــنَ النَّــاسِ وَاعِيَــهْ وَأَلْسِنَةً تَشْدُو مَدَى الــدَّهْرِ دَاعِيَــهْ
بِعَفْوِ إِلَهِي الْغَافِــرِ الْمُتَكَبِّــرِ

تَغَيُّرُ حَالِي غَيَّرَ عَقْلِــي وَمِقْــوَلِي وَأَنْكَرَنِي مَنْ كَانَ يَعْرِفُ لِي فَــضْلِي
فَلَمْ يَبْقَ لِي إِلاَّ كَــلاَمُ الْمُــضَلَّلِ "قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ"
وَهَلْ تَنْفَعُ الذِّكْرَى شَجِيًّا أَخَا هَجْــرِ

فَكَمْ لاَئِمٍ أَنْهَى وَأَفْرَطَ فِي الْعُتْــبِ عَلَى سَدَكِ الأَوْطَــانِ لَــمْ أَتَغَــرَّبِ
وَلَمْ أَتَــصَدَّرْ لِلرِّيَاسَــةِ وَالرُّتْــبِ وَلَمْ أَتَكَلَّفْ لِلْمَحَاضِــرِ بِالنَّــصْبِ
فَقُلْتُ: دَعُونِي لاَ أَقُومُ بِذَا الأَمْــرِ

فَنَفْسِيَ لاَ تَرْضَى بِـــدَهْرِي وَآلِـــهِ وَدَهْرِيَ لاَ يَرْضَى بِنَفْـــسِي وَحَالِـــهِ
فَلاَزَمْتُ بَيْتِي كَانِسًا فِي ظِلاَلِـــهِ جَلِيسِي كِتَابِي، بَلْ أَنِيـــسِي أُوَالِـــهِ
وَلَسْتُ أُبَالِي شَأْنَ زَيْدٍ وَلاَ عَمْرو
سَئِمْتُ -وَلاَ كُفْرَانَ للهِ- حَـــالَتِي رَضِيتُ بِهَا رَغْمًا وَلَوْ عَـــنْ مِلاَلَتِـــي
فَأَنْطَقَنِي شَجْوِي بِنَظْمِ رِسَـــالَتِي إِلَـــى كُـــلِّ وَاعٍ مُعْـــتَنٍ بِمَقَـــالَتِي
مُعَنْوَنُـــهَا أَسْمَى السَّـــلاَمِ الْمُكَرَّرِ
سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ، أَحْسَنَ اللهُ حَـــالَكُمْ وَبَلَّغَكُمْ فِي الـــصَّالِحَاتِ آمَـــالَكُمْ
وَأَكْرَمَ مَثْوَاكُمْ، وَأَصْـــلَحَ بَـــالَكُمْ وَأَحْمَدَ فِي الْعُقْبَى بِخَيْـــرِ مَـــآلَكُمْ
وَصَلَّى عَلَى الأُمِّيِّ مَا شَمْسُنَا تَجْـــرِي

قد تمّ هذا المخمّس وهو أربعمائة وخمسة وعشرون بيتا